امتازت أبنية العراق القديم بوجود عدد من العناصر العمارية المهمة فيها والتي نتجت عن الخبرات المتواصلة لإبداعات البناة عبر الأجيال في فن تخطيط المباني بالشكل الملائم وبما ينسجم مع متطلبات وخدمة الحياة اليومية للإفراد وكلاً حسب وظيفته الدينية والاجتماعية والاقتصادية، إن البحث عن بدايات استخدام كل عنصر عماري في تشكيلة المباني ربما يكتنفه بعض الغموض ، وعليه فإن الخوض في معرفة الجذور الأولى لظهور هذه العناصر ترتبط بما هو متوافر من معلومات من خلال ما كشفته التنقيبات في مختلف المواقع الأثرية من العراق، ومن دون شك فقد لعبت عوامل عدة في ابتكار العناصر العمارية واستخدامها ضمن تشكيلة الأبنية المشيدة وكان لها التأثير المباشر في تخطيط الشكل الأمثل للبناء وتجانسها مع الظروف البيئية الطبيعية، ومدى توافر المواد الإنشائية كالتربة الجيدة والأحجار والأخشاب اللازمة فيها من عدمها للبناء، فاختلاف درجات الحرارة صيفاً وشتاءً أو تباينها ما بين الليل والنهار له أثره الكبير في توظيف تلك العناصر العمارية ، كما أن للقدرات الإبداعية للمعمار الدور الأهم في تكييف العناصر العمارية السائدة لتنظيم تلك العناصر في عمليات تخطيط وتشييد الأبنية المختلفة، فضلا عن أهمية التقاليد المتوارثة ؛ إذ حاول المعمار جاهداً الاحتفاظ بما ورثه عن أجداده من قواعد وأساليب معمارية وديمومتها، كما أن هناك من الباحثين من يضيف تأثير الظروف الاجتماعية والمعتقدات الدينية في تشكيل قواعد الفن المعماري القديم ، والذي يقترح بعض الباحثين إدراجها ضمن عوامل الإبداع والابتكار، وهكذا كان للبناة الأوائل وإبداعاتهم من المعماريين الدور الأساس في ابتكار العناصر المعمارية وتطويرها عبر العصور العراقية القديمة.

اما ابرز معالم العمارة السكنية في بلاد وادي الرافدين التي هي بدأت بنيت من الطين والطوف واللبن المواد المتوفرة في الطبيعية البلاد فبدأ البيوت بسيطة ذات مخطط دائري اكواخ مستديرة تشبه الخيام الاولى التي نشائها الانسان في اول ظهور له من الكهوف التي اقام خيام بسيطة من جلود الحيوانات التي كان يصطداها ثم بداء بالتعلم في بناء ابنية دائرية تحفر تحت الارض ليس لها ابواب يقوم ببناء عدة سوف من الحجارة ليقي نفسه من البرودة والرطوبة على شكل حفر دائرية داخل الارض يسقفها بأغصان الاشجار ثم بدأت البيوت تتطور وهي ذات تصميم بسيط ساحة

وسطية محاطة بعدد من الغرف الصغيرة وتكون ذات مدخل ملتوي ولذلك حتى لا يرى المار سكنت المنزل نوافذها صغيرة وعالية ثم بدأت تتطور البيوت السكنية وتكبر بناء على الحاجة لذلك وكذلك اصبحت ذات طابقين بدليل السلالم التي وجدت من العناصر العمارية المهمة التي وجدت في الابنية السكنية هي السلالم وكذلك الاعمدة وكذلك وجدت الاقواس ووجدت اماكن خصصت كأسواق للمدن نلاحظ تأثر التخطيط المدني للمدن العراقية القديمة بأبعاد عدة ومنها البعد الديني والساسي والاداري والاقتصادي والحضاري وحتى العماري لخلق متغيرات عمرانية ليلتزم كل طراز العمارة الدينية والمدنية والعسكرية بأنظمة هندسية خاصة به مكون فكرة التخطيط للمدن وكان هناك تأثير وتأثر على الحضارات المجاوره تعتبر من القوى المتغيرة تأثيرات الفكرية والسياسية تأثيرات الدينية من الناحية السياسية تأثرت العمارة في البلدان التي سيطروا عليها الاشوري خصوصا سوريا جلب البنائين والنحاتين وغيرهم للعمل في البناء المدن والقصور التأثير الديني من ناحية بناء المعبد على نفس المكان القديم احتراما للقداسة المكان هذا يجعل بقايا المعبد القديم تكون مصطبة ارتفاع للمعبد الجديد وكذلك الحضارة المصرية ايضا تأثرت بحضارة بلاد الرافدين من ناحية السكن الاول على هيئة اكواخ من سعف النخيل كذلك في استعمال الاعمدة يرد في العمارتين العراقية ثم المصرية وتأثير لاحق حتى على العمارة اليونانية ومن ناحية مواد البناء والشكل الابنية هناك تشابه كبير ظهر بين الحضارات المختلفة وكانت متأثره بالحضارة الاقدم وهي حضارة بلاد وادي الرافدين لكن هناك كان اختلاف من ناحية الفكريه والعقائديه بين المجتمعات نتيجة لاختلاف الطبيعة المحيطة بالمجتمعات الطبوغرافية المختلفة جعلت كل حضارة تتميز عن الاخرى بعنصر عماري.

خصائص عمارة البيوت في بلاد الرافدين.

١) استخدم الإنسان الطين منذ العصور القديمة بدل المواد الاولية التي كان يستخدمها في حضارته المبكرة حيث تبين له خصائصه المتميزة فهو طيع بين يديه يمكن صياغته بأشكال مختلفة، يتصلب ويقوى بعد جفافه تحت الشمس ليتحمل ثقل اكبر ويزداد صلابة عندما يخلط مع مواد عضوية.

٢) امتازت حركة التطور المعماري في العراق قديما بتفاعل كامل وحيوي بين المادة الاولية التي تصنع منها المواد الإنشائية وبين طبيعة البيئة والمناخ اللذين يحيطان المنشآت المعمارية والمدنية العراقية وقد استخدم الانسان العراقي مادة الطين وسيلة لتحقيق اهدافه وبأساليب متعددة حيث انها الاقل كلفة والاوفر اقتصادا والاكثر قدرة على التطويع والتشكيل.

٣) استخدم الطين في البناء بأساليب متعددة منها الجدران الطينية (الطوف) والطين المقولب (اللبن) وسمي ايضا (النقض) المجفف بالشمس بأبعاد وقياسات واشكال.

٤) مختلفة والطين الرائب (الملاط) أو (المونة) بأسلوب الحل والشد والطين المقولب المفخور بالنار (الآجر) بواسطة (الكورة) والطابوق الفرشي و(الطابوق) بأنواعه الصناعية المختلفة.

٥) كان الشكل الدائري هو الاساس للوحدة السكنية تطور عنه المباني المضلعة تتكون من غرفة واحدة او عدة غرف تنظم عادة حول باحة داخلية وهي ذات سقوف وكانت ذات مساحات واسعة نسبيا.

٦) استخدمت الاسوار الطينية والاسوار من اللبن لكثير من المباني والمستوطنات على مر العصور في العراق إلى ان انتفت الحاجة لإقامة الاسوار.

٧) اثرت المواد الاولية على شكل الصورة المعمارية للوحدة البنائية فبالرغم من استخدام الحجر والطابوق واللبن في الأبنية الخاصة بالمعابد والاسوار ظل استخدام السومريين للطين والقصب في تشييد ابنيتهم الخاصة مستمر وهي ذات سقوف مستوية أو هرمية.

ولقد أثرت الحضارات المجاورة نتيجة لكثير من العوامل الاقتصادية والسياسية والتجارية كل هذا ساعد على تبادل الافكار والخصائص العمارية ومن خلال استخدام

اسرى الحروب عمال وكذلك جلب عمال للعمل في البناء ومواد من المناطق التي كانوا يسيطرون عليها حالها حال اي خصائص حضاري اخرى نلاحظ تأثرها في الحضارات المجاورة كتخطيط البيوت او حتى استخدام العناصر العمارية لكن يبقى لكل حضارة عناصرها المميزة عن الحضارات الاخرى هذا جعلنا نميز عصر عن الاخر ، وتكون هناك حضارات اصيلة مؤثرة وحضارات ثانوية متأثرة.

وقد اختلف تخطيط المدن الجنوبية عن الشمالية وذلك باختلاف طبوغرافية المنطقة وطبيعتها، فالمدن السومرية كان يحيط بالمدينة سور بيضوي مدعم بابراج وتحيط بيه اقنية مائية هذا من خارج المدينة، اما داخلها فكان يوجد فيه شبكة من الشوارع والأزقة المتعرجة التي لاتتبع تظاماً معيناً تتوزع على الأحياء السكنية المختلف، ويتشكل مركز المدينة من مجموعة من المباني الدينية والقصور التي تتختلف بشكلها المستطيل عن شكل المدينة الخارجي المحيط بها، وهذه المباني متوازية اي تتبع نفس التوجيه بالنسبة للاتجاهات الاربعة، والعنصر البارز في هذا التخطيط هو البناء العالي المدرج الزقورة.

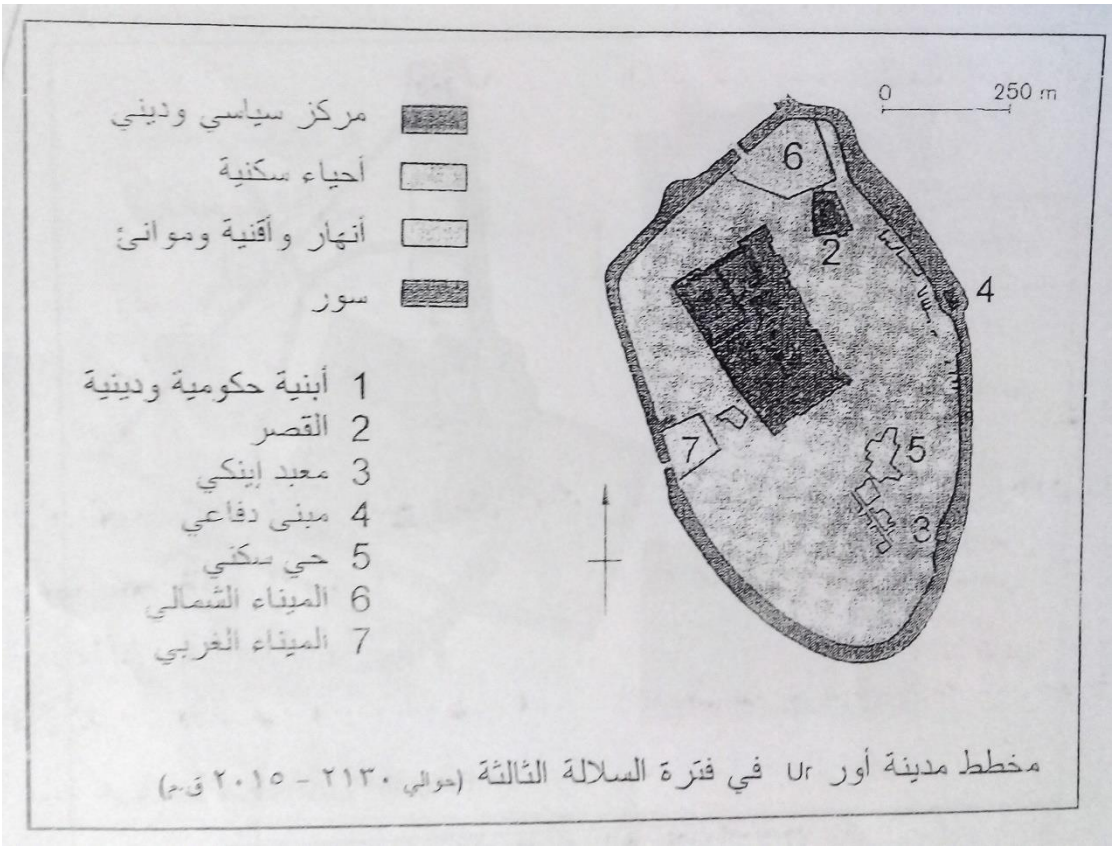

اما المدن الشمالية فقد اتبع الآشوريين تخطيطاً للمدن أكثر انتظاماً من تخطيط المدن السومرية، والسبب وراء ذلك هو التنظيم العسكري الصارم للدولة الآشورية، أضافة إلى تضاريس في المنطقة، وكانت الابنية الحكومية على شكل مجموعات متراكمة على طرف المدينة بحيث تتربط بسور المدينة والقنوات المائية المحيطة بها.

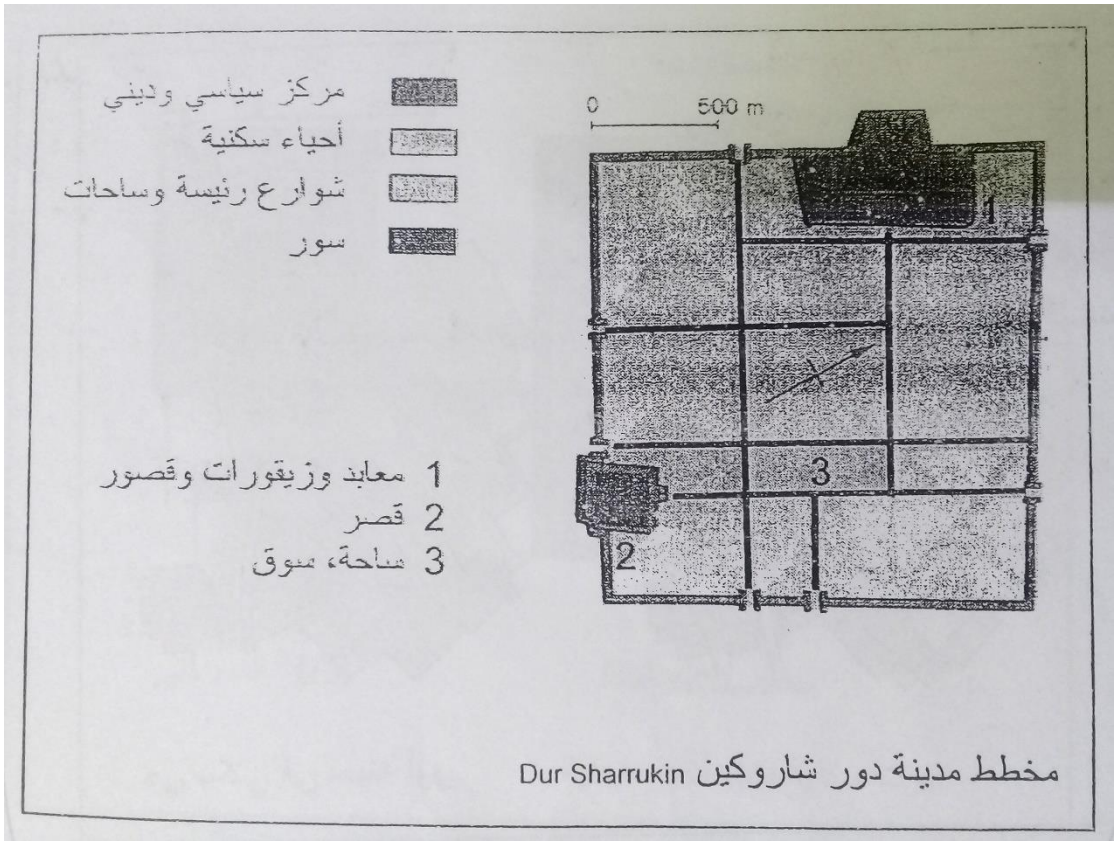

مخطط مدينة دور شاروكين Dur Sharrukin

بعض الخصائص الرئيسية لتخطيط المدن في تلك الفترة:

١-الأسوار والحصون:

كانت المدن غالباً محاطة بأسوار دفاعية قوية لحمايتها من الغزوات والهجمات. كانت هذه الأسوار تُبنى من الطوب الطيني أو اللبن المجفف، وبعضها كان معززًا بالأبراج والحصون لزيادة الحماية.

كانت بوابات المدينة جزءًا من هذه الأسوار، وغالبًا ما تكون مزودة بأبراج للمراقبة.

٢-المعابد والمراكز الدينية:

كان المعبد يُعتبر مركزًا أساسيًا في تخطيط المدن، حيث يتم بناء المعابد الكبيرة في وسط المدينة. هذه المعابد لم تكن فقط مراكز دينية، بل كانت أيضًا مراكز اقتصادية وإدارية، كانت المعابد الكبيرة مثل "الزقورات" تشغل مكانة بارزة، إذ تتميز بتصميمها المتدرج وتُستخدم لأغراض دينية.

٣-تنظيم الأحياء السكنية:

الأحياء السكنية كانت تُخطط بعناية، حيث يتم توزيع المنازل على شكل مجموعات متقاربة يفصل بينها شوارع وأزقة ضيقة.

المنازل كانت تُبنى عادةً من الطوب الطيني وتكون قريبة من بعضها البعض، وذلك للمساعدة في التصدي لدرجات الحرارة العالية.

٤-الطرق والشوارع:

تم تصميم الشوارع بشكلٍ يربط بين الأحياء السكنية والمناطق التجارية والدينية. كانت بعض المدن تحتوي على شوارع واسعة رئيسية، بينما تكون الشوارع الفرعية ضيقة.

الطرقات كانت تُرصف في بعض الأحيان بالطوب، وهذا يعكس تقدمهم في تنظيم المدن وتخطيطها.

٥-إدارة المياه والصرف الصحي:

كانوا يهتمون بتوفير نظام لإدارة المياه، حيث أنشأوا القنوات لنقل المياه من الأنهار إلى المدن لتلبية احتياجات الري والشرب.

تم بناء نظام للصرف الصحي يشمل قنوات لجمع المياه الملوثة، مما يدل على إدراكهم لأهمية الصحة العامة والنظافة.

٦-الأسواق والمناطق التجارية:

المدن القديمة كانت تحتوي على مناطق تجارية حيث تُباع وتُشترى السلع. الأسواق كانت مركزًا للنشاط التجاري وتبادل المنتجات، وكان لها دور كبير في اقتصاد المدينة.

٧-تخطيط المدن بحسب الطبقات الاجتماعية:

كانت المدن تُقسم أحيانًا إلى مناطق مخصصة للطبقات الاجتماعية المختلفة، حيث يسكن الحكام والكهنة في أماكن مميزة داخل المدينة، بينما يسكن عامة الشعب في أحياء أخرى.

ويلاحظ ان التخطيط الحضري في بلاد الرافدين يعكس تطوراً ملحوظًا في مجالات الهندسة المعمارية والإدارة، وكان لهم تأثير كبير على الحضارات اللاحقة في مجال تخطيط المدن.